

﴿٢٠ - ٢١﴾ ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور \* أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾ يقول تعالى للنعنة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق:

﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ أي: ينصركم إذا أراد بكم الرحمن سوءاً، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق لو اجتمعوا على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أي عدو كان، فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسفة.

﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ أي: الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرازق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون ﴿لجوا﴾ أي: استمروا ﴿في عتو﴾ أي: قسوة وعدم لين للحق ﴿ونفور﴾ أي: شرود عن الحق.

﴿٢٢﴾ ﴿أمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ أي: أي الرجلين أهدى؟ من كان تائهاً في الضلال، غارقاً في الكفر قد انكسر قلبه، فصار الحق عنده باطلاً، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فيمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

﴿٢٣ - ٢٦﴾ ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون \* قل هو

نذير \* ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ هذا تهديد ووعيد لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانه الموجب للشكال وحلول العقوبة، فقال: ﴿أمنتهم من في السماء﴾ وهو الله تعالى، العال على خلقه.

﴿أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم<sup>(١)</sup>.

﴿أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ أي: عذاباً من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، فلا تحسبوا أن أمنتكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان<sup>(٢)</sup> أو قصر، فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

﴿١٩﴾ ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾ وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوف، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها.

﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ فإنه الذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن<sup>(٣)</sup> في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقضيه حكمته.



وأخفى ﴿ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلفظ بعبدته ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد] على بال، حتى إنه يذيقه المكارة، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلية، والمقامات النبيلة.

﴿١٥﴾ ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطريق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿فامشوا في مناكبها﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب.

﴿وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً، وبلغه يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتمشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسنية.

﴿١٦ - ١٨﴾ ﴿أمنتهم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور \* أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف

(٣) في ب: وجعل أجسادها وخلقتها.

(٢) في ب: الأمد.

(١) في ب: حتى تهلكوا وتلفوا.

السذي ذرأكم في الأرض وإليه تمشرون \* ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين\* يقول تعالى - مبيناً أنه المعبود وحده، وداعياً عباده إلى شكره، وإفراذه بالعبادة - : ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي : أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفتدة، التي هي أنفع أعضاء البدن<sup>(١)</sup>، وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه<sup>(٢)</sup> مع هذا الإنعام ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر.

﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي : بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأمدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة، ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ﴿ويقولون﴾ تكديماً :

﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا<sup>(٣)</sup> بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد، فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخير وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلتته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

﴿٢٧ - ٣٠﴾ ﴿فلما رآوه زلفة﴾ سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون \* قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا فمن ينجي الكافرين من عذاب أليم \* قل هو الرحمن أمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين \* قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين \* يعني أن عمل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا

كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم ﴿زلفة﴾ أي : قريباً، ساءهم ذلك وأضعهم، وقلقل أئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا على تكذبيهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فاليوم رأيتوه عياناً، وانجلي لكم الأمر، وتقطع بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب.

ولما كان المكذبون للرسول ﷺ، [الذين] يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويترصبون به ربب المنون، أمره الله أن يقول لهم : أنتم<sup>(٤)</sup> وإن حصلت لكم أمانيكم<sup>(٥)</sup>، وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك ينافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققت العذاب، فمن ينجيكم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذا، تعبككم وحرصكم على هلاكه غير مفيد، ولا نجد عنكم شيئاً.

ومن قولهم، إنهم على هدى، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه وقتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم، وهو أن يقولوا : ﴿أمنا به وعليه توكلنا﴾ والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفة على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان [لهم] ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين.



ثم أخبر عن انقراضه بالنعم، خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حياً، فقال : ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي : غائراً ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ تشرّبون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي أي : لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى .

تمت والله الحمد<sup>(٦)</sup>

**تفسير سورة ن وهي مكية**

﴿١ - ٧﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون \* ما أنت بنعمة ربك بمجنون \* وإن لك لأجراً غير ممنون \* وإنك لعلى خلق عظيم \* فتبصر وبصرون \* بأيكم المفتون \* إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها [أنواع] العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على

(٦) في ب: تم تفسير سورة الملك والحمد لله.

(٣) في ب: أن يخبروهم.

(٤) في ب: إنكم.

(٥) في ب: أمانيكم.

(١) في ب: وهذه الثلاثة هي أفضل أعضاء البدن.

(٢) في ب: ولكنكم.

الأخلاق، و [الآيات] الحاثات على الخلق العظيم<sup>(١)</sup>، فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان **سَهْلًا** ليناً، قريباً من الناس، مجيئاً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقصاه، جابراً لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعسى في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشرته، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال **سَهْلًا**.

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون، قال: **«فستبصر ويصرون \* بأيكم المقون»** وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس [وأشر الناس]<sup>(٢)</sup> للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى يعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

و **«هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين»** وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

**﴿٨ - ١٦﴾ «فلا تطع المكذبين \* ودوا لو تدهن فيدهنون \* ولا تطع كل حلاف مهين \* هزاز مشاء بنميم \* مناع للخير معتد أثيم \* عتل بعد ذلك زنيم \* أن كان ذا مال وبنين \* إذا تظلى عليه آياتنا قال أساطير**

(٦) في ب: يظلمهم في دماثهم وأموالهم وأعراضهم.

(٤) في ب: ليس له رغبة.

(٥) كذا في ب، وفي أ: في الناس.



براءة نبيه محمد **سَهْلًا** مما نسب إليه أعداؤه من الجنون.. نفقى عنه الجنون<sup>(١)</sup>، بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث منَّ عليه بالعقل الكامل، والرأي: الجزل، والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: **«وإن لك لأجراً \* أي: عظيماً، كما يفيدته التنكير، «غير ممنون» أي: [غير] مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي **سَهْلًا** من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة، ولهذا قال: «وإنك لعلى خلق عظيم» أي: عالياً به، مستعلياً بخلقك الذي منَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين [عائشة - رضي الله عنها -] لمن سألها عنه، فقالت: «كان خلقه القرآن»، وذلك نحو قوله تعالى له: **«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»** «فبما رحمة من الله لنت لهم» [الآية]، «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه **سَهْلًا** بمكارم**

(١) في ب: عنه ذلك.

(٢) في ب: على كل خلق جميل.

(٣) زيادة من هامش ب.